بلاغة العدول عن مقام إلى مقام المداراة وأساليبها البلاغية أنموذجاً

بقلم الدكتور

ذعار حميدان نايف الحربي

أستاذ الأدب والبلاغة المساعد في قسم اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة حفر الباطن ـ المملكة العربية السعودية

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م

الجزء الثاني (إصدار ديسمبر)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

بلاغة العدول عن مقام إلى مقام المداراة وأساليبها البلاغية أنموذجاً

ذعار حميدان نايف الحربي

الأدب والبلاغة في قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب ـ جامعة حفر الباطن ـ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : zharbi@uhb.edu.sa

الملخص

سعَت هذه الدراسة إلى دراسة بينية تكشف عن أثر توظيف أساليب المداراة البلاغية في مهارات الاتصال الفاعلة، محققة الذكاء الاجتماعي البليغ، مستفيدة من علم النفس وعلم الاجتماع والعلاقات الإنسانية والقيادة الإدارية؛ لتسهم في تحقيق التعامل الأمثل مع الآخرين بفاعلية وحكمة مع اختلاف ثقافاتهم وبيئاتهم، فتقف على شواهد مداراة قولية أو فعلية لمواقف متعددة وردت في الكتاب الكريم، أو السنة المطهرة، أو أدب العرب؛ تستدعي أن يكون الغضب مقامًا لها كما هو القياس لدى عامة الناس، لكن الحكيم عدل عن المألوف إلى مقام المداراة الذي هو أسمى، فامتطت المداراة أساليب بلاغية وظفها المتكلم لغرضه؛ للعدول عن مقام الغضب الجارح إلى مقام المدراة اللطيفة، والمقامان القياس والمعدول عنه كلاهما يوافق مقتضى الحال؛ لأن المقام اقتضاه، إلا أن العدول عن الأصل إلى المداراة استثار ذهن الباحث فحمله على دراسة ذلك؛ ليستنبط الأساليب البلاغية المؤثرة في النفس والمجتمع والعلاقات؛ لتكون أسلوبًا ذكيًّا تمتطيه الألسن ببلاغة للطف يحقق الهدف، ولا يجرح مخاطبًا، كالالتفات، وتجاهل العارف، والتعريض، والكناية، والإطناب الموضح، والسكوت البليغ، وغير ذلك؛ لأغراض دعوية أو نفسية أو أسرية –كدوام الأخوّة– أو قيادية.

الكلمات المفتاحية : الغضب، المداراة، الذكاء الاجتماعي، الحال، المقام، مقتضى الظاهر، مقتضى الحال .

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

٢٠٤٤

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

The rhetoric of turning away from a place to a place of politeness and its rhetorical methods as a model

Thoare Humaidan Naif Al-Harbi
Literature and Rhetoric Assistant Professor in Department of Arabic Language
College of Arts – University of Hafr Al Batin , Saudi Arabia .
Email: zharbi@uhb.edu.sa

Abstract

This interdisciplinary study, in the light of psychology, sociology, human relations and administrative leadership, aimed at revealing the impact of using rhetorical pacification methods on effective communication skills to achieve eloquent social intelligence, and to contribute to optimal interaction with others effectively and wisely despite of different cultures and environments, It focuses on verbal or action pacification evidences in different circumstances contained in the Holy Book, the prophetical Sunnah or Arab literature, that call for an anger reaction as usually perceived by the general public, but a sage shall renounce the usual reaction for pacification. The pacification is portrayed with rhetorical methods used by the communicator to relinquish harmful anger context for polite pacification. Both contexts comply with the circumstances. Thus, renouncing original context for eloquent pacification has inspired the researcher to study and devise rhetorical methods that affect the individual, the society and relationships, and become an intelligent method eloquently employed to achieve goal, that does not injure the addressee, such turning a blind eye, ignoring, turning away, metonymy, explicative redundancy, eloquent silence, etc. for appealing, psychological, family or leadership purposes.

Keywords: anger,pacification,social intelligence,circumstance, context, denotative context, context of the situation .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

من الأدب السامي أن يراعي المتكلم حال من يخاطب، وأن يحفظ بخطابه مكانة ذاته، وأن يتلطف بمن يحاور وإن أساء، مراعيًا عوامل نفسية أو مكانة اجتماعية، أو قيادية، كيلا يمزق عرى الروابط والمصالح والأهداف بينه وبين الآخرين. يقول ابن رشيق: "والفَطِن الحاذق يختار للأوقات ما يشاكلها، وينظر في أحوال المخاطبين؛ فيقصد محابَّهم، ويميل إلى شهواتهم وإن خالفت شهوته، ويتفقَّد ما يكرهون سماعه فيجتنب ذكره"(١).

وتطرَّق السكاكي إلى تباين المقامات، وذكر منها أن الكلام مع الذكي ليس كالكلام مع غيره، فلكلٍّ مقتضًى غير الآخر، وكذلك الكلمة مع أختها تحتاج إلى مقام يناسبها(٢). فمراعاة المقامات تتطلبه البلاغة، والحال يفرض ما يناسبه من مقدار لفظ، واختيار أسلوب، ووقت تكلم، وكما يراعي المخاطب يراعي المستمعين، وقد تكون البلاغة غير لفظية كالسكوت إذا كان لغرض، قال ابن وهب: "ومن الصواب أن يعرف أوقات الكلام، وأوقات السكوت، وأقدار الألفاظ، وأقدار المعاني، ومراتب القول، ومراتب المستمعين له، وحقوق المجالس وحقوق المخاطبات فيها، فيعطي كل شيء من ذلك حقه"(٣).

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ١/ ٢٢٣.

(٢) ينظر: مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبويعقوب، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص١٦٨.

(٣) البرهان في وجوه البيان، لأبي الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، تحقيق: د. حفني محمد شرف، مكتبة الشباب (القاهرة) - مطبعة الرسالة، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م، ص ٢٠٧.

والكلام البليغ هو ما وافق مقتضى الحال، سواء أوافق مقتضى الظاهر أم خالفه؛ لأن الموافقة أو المخالفة يفرضها المقام الذي هو وعاء كلام المتكلم وقصده. وقد تنبه إلى هذا محمد خفاجي في تعليقه على الإيضاح فذكر أن مقتضى ظاهر الحال أخص من مقتضى الحال، فكل مقتضىً للظاهر مقتضى للحال، ولا عكس، فمثلًا إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر؛ من مقتضى الحال لا مقتضى الظاهر [١].

فمقتضى الظاهر ما كان مألوفًا على طريقة العرب في كلامهم، وهو من مقتضى الحال، أما العدول فيوافق مقتضى الحال لا مقتضى الظاهر إذا صدر من بليغ ذي غرض يلائم المناسب في التأثير مراعيًا اختلاف أصناف الناس كما ذكر د. عبدالرحمن حسن حبنكة[٢] أن منهم العاقل والجاهل، والحكيم والسفيه ذا الطيش، وغير ذلك، ومنهم من تغيره الأحوال النفسية من فرح وحزن وغضب واتزان، ومنهم المؤثر في مجتمع ما، فيراعي كلًّا باختلاف أحوالهم وطبقاتهم، ولا يكون ذلك لو جاء الكلام بحسب الظاهر.

والمداراة فيها تأثير، وقيمة النص في تأثيره، فتحويل الخطاب من الرد بالمثل إلى ما غيَّر وجدان المخاطب غرض بلاغي سامٍ، يقول ابن الأثير: "وخير القول ما أسكر السامع حتى ينقله عن حالته، سواء كان في مديح أو غيره"[٣].

---

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق، تحقيق: أ.د/ محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، ط٣، ١/٧١.

(٢) ينظر: البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، ١/ ٦٥- ٦٦.

(٣) المثل السائر ١/ ١٩٤.

والناس متفاوتون في ذلك، فعامتهم على المجازاة بالمثل حسب مقتضى الظاهر، فمقام الغضب يُنجب عبارات الغضب، لكن الذي سأدرسه هو العدول عن ذلك الغضب إلى المداراة بأساليب بلاغية لا يقتضيها الظاهر لكن الحال يقتضيها، يقول السكاكي: "وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به وهو الذي نسميه (مقتضى الحال)"(١).

ومراعاة الحال ليست مقصورة على حال المخاطب فحسب، بل تتعدى إلى حال المتكلم. فإذا كان المخاطب هو سبب إنتاج النص، فإن النص قد يتكيف بأسلوب غير مألوف قصده المتحدث لغرضه، وجاء التركيب وفق الغرض، فمثلًا يخاطب المتكلمُ بَذيءَ اللسان بأسلوب مداراة خشية فحشه، ويخاطب الأخ أخاه بما يديم الودّ وإن أغضبه، وهذا لم يستدعه مقام المخاطب، لكن الذي استدعاه هو غرض المتكلم.

وأسلوب المداراة من أوضح الأساليب التي توصل المخاطِب هدفه وتحفظ وده وقبول لفظه، فهو عدول يتضمن دلالة قصدها العادل، ويوافق مقتضى الكلام الذي يطابق حالًا أراده المتحدث، فدخل باب البلاغة، وسُمي عدولًا؛ لأن العدول: "مجاوزة السَّنن المألوف بين الناس في محاوراتهم، وضروب معاملاتهم؛ لتحقيق سمة جمالية في القول تمتع القارئ، وتطرب السامع"(٢)، وهذا من الذكاء العاطفي المؤثر في النفوس، فتداري من تحب ومن تكره أو تخشى، ومَن به خير ومن به شر، لحكمة. يقول ابن رشيق:

---

(١) مفتاح العلوم ص١٨٦.

(٢) رؤية في العدول عن النمطية في التعبير الأدبي، عبد الموجود متولي بهنسي د.م، ط١، ١٤١٣- ١٩٩٣، ص٥.

"وذوق الأديب البليغ يحس بوجوه الملاءمة أو عدمها بين أساليب الكلام وبين الأهداف منه، فيتحرى أفضل الأساليب ملاءمة للهدف الذي يقصده من كلامه، ولا غرو أن بعض الأساليب الملائمة للهدف أكثر ملاءمة وأعظم تأثيرًا من بعض"(١).

فالمداراة -إذن- أسلوب تمتطيه عبارات الحكماء، الذين يتغلبون على ذواتهم، ويرتقون بعباراتهم، طمعًا بتحقيق غرض ما، لكون هذا الأسلوب يجمع جمالًا في التعبير، ويهيء المخاطب لتوسيع دائرة المقاربة بينه وبين المتكلم بخطابه شعورَه ووجدانَه بألطف أسلوب اقتضاه الحال الذي فطن له لب المتكلم الحكيم.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في أنها عدول عن مقام مألوف إلى مقام غير مألوف يحتاج إلى حكمة وصبر، فالمداراة التي تدفع السيئة بكلمة لينة عُدل إلى مقامها بدلًا من مقام الغضب الذي هو حال سواد الناس إذا جاء سببه؛ ولأنها خُلق رفيع نهجه القدوات وأمثالهم، ولم تُدرس أساليبها بلاغيًّا في باب مستقلٍّ، فكان لدراستها أهمية كبرى تتحدد مشكلتها في الإجابة عن هذه التساؤلات:

١- ما مفهوم المداراة، وما الفرق بينها وبين المداهنة؟
٢- ما شواهد المداراة من المصادر الشرعية والأدبية؟ وما أبرز أساليبها وأغراضها البلاغية؟
٣- ما دور الأساليب البلاغية في إبراز الذكاء الاجتماعي وفق مقام المداراة الذي يراعي طبقات الناس وأحوالهم النفسية والاجتماعية؟
٤- ما قيمة المداراة نفسيًّا واجتماعيًّا وقياديًّا؟

---

(١) البلاغة العربية ١/ ٦٥.

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية الدراسة من كونها موضوعًا لم يبحث بباب بلاغي مستقلٍّ رغم توافر شواهده، ولكون المداراة أسلوبًا ربانيًّا بليغًا، نهجه المرسلون والقدوات مع أقوامهم ومن يخالطون، وزادت أهميته في زمننا أمام الانفتاح العالمي وتعدد وسائل التواصل المباشرة وغير المباشرة بين الأفراد والمجتمعات مع تباين أوطانهم وثقافاتهم، وتعدد الأغراض سواء أكانت دينية أم دنيوية وما قد يعتري ذلك من زلات وهنات، تتطلب المداراة؛ لتتحقق المصالح.

أهداف الدراسة:

١- الكشف -من خلال التحليل البلاغي- عن الأساليب التي توظَّف في مداراة الناس.
٢- إثبات أن العدول البليغ من مقام إلى مقام يوافق مقتضى الحال وإن خالف مقتضى الظاهر.
٣- إثبات السمو اللفظي في الخطاب العربي من مصادره الشرعية والأدبية.
٤- بيان صلة البلاغة بالعلوم الأخرى التي تساعد على فهم المخاطب وحاله.
٥- إحياء خُلق المداراة بالرجوع إلى المصادر الشرعية والأدبية؛ لتحقيق الأهداف.
٦- تلبية حاجة الإنسان في الكشف عن الأسلوب البلاغي المناسب لخطابه مجتمعَه الواقعي الذي يلتقي به، والعالم الافتراضي المتباين في بيئته وظروفه وثقافته وأساليبه.
٧- تعميق أواصر المحبة بين الناس بتوظيف أساليب المداراة البلاغية في أمور دينهم ودنياهم.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على تتبع شواهد المداراة من القرآن الكريم والسنة المطهرة وشعر العرب ونثرهم من غير تقصٍّ، فأقف على بعض شواهد العدول إلى المداراة مبينًا ما تيسر من الأساليب البلاغية المستعملة في كل شاهد، ذاكرًا الشاهد، وأتبعه الأساليب المستنبطة، إلا في دعوة إبراهيم – عليه السلام– أباه فسأبدأ بالأساليب مستشهدًا بشواهدها؛ لكثرة الآيات، وترجمت لبعض الأعلام، وتركت آخرين شاع ذكرهم، واعتمدت على كتاب الأعلام للزِّركلي؛ لتأخره وسعته، ورجوعه إلى مصادرِ التراجم، ولقد اتخذت في منهجي اختصارات مثل: (د.ن)، بمعنى: بدون نشر، و (د.ط)، بمعنى: بدون طبع، وأضع اسم السورة في صلب الموضوع عقب الآية بين معقوفتين.

تمهيد:

المداراة من الفعل درأ، والتدارؤ لغةً: التدافع. ودرأ عنه الحدّ؛ أسقطه بحق، واشتُقت المداراة بين الناس من هذا المعنى(١)، فالمداراة لين وملاطفة.

ونستطيع تعريفها بأنها: درء المفسدة ودفعها بالكلام اللين لغرض يريده المتكلم، والمداراة نهج الحكماء والعقلاء. قال العتابي: "المداراة سياسة رفيعة تجلب المنفعة، وتدفع المضرّة، ولا يستغنى عنها ملِك ولا سوقة، ولا يدع أحدٌ منها حظه إلا غمرته صروف المكاره"(٢).

وسُميت المداراة المداجاة من الدجى(٣)، فالمداري يقيل العثرات ويلين العبارات، فهي ستر لزلة كالليل الداجي الساتر؛ لذا سميت مداجاة، وهي لا تكون إلا فيما يرضي الله، وإلا سميت مداهنة. والمداراة منهج رباني، سلكه المرسلون -عليهم السلام- والصالحون، ورتب الشرع عليه أجرًا وفضلًا، فالمداراة صدقة، وجسر وصال، تتحقق بها آمال، وسنقف على أساليبها البلاغية فيما يتيسر من شواهد، نستدرُّ منها الأساليب البلاغية؛ لتكون سبيلًا يُحتذى ومنهجًا يُقتفى.

---

(١) ينظر: كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، باب الدال والراء و (وا ي) معهما د ور، د ي ر، د ر ي، د ر أ، ر أد، ر ي د، ر ود، أد ر، ور د، ر د أ، ر د ي مستعملات، مادة: درأ، ٨/ ٥٩ – ٦١.

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني، دار الجيل، بيروت، ص ٤/ ١٠٥٦ .

(٣) ينظر: الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، ١/ ٤٣.

المبحث الأول: مداراة الله عبادَه

اللهُ -سبحانه- أرحم بالخلق من الخلق، وأول أسلوب هو أسلوب الحق في المداراة لخير الخلق، فقد خاطب الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- بقوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾[عبس: ١ – ٣] فالحال هو عبوس النبي -صلى الله عليه وسلم- وإعراضه عن عبد الله بن أم مكتوم -رضي الله عنه-؛ لانشغاله بصناديد قريش طمعًا في إسلامهم(١)، فعاتبه الله على ذلك عتابًا مليءٌ مداراةً، " فكان النبي -صلى الله عليه وسلم- بَعْدَ ذَلِكَ يُكْرِمُه(٢)".

فجاء أسلوب المداراة ممتطيًا أسلوب الالتفات، وهو التعبير عن معنًى بإحدى الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق أخرى(٣)، فالله لم يخاطب نبيه بالعتاب على خطئه مباشرة، بل جاء بأسلوب الالتفات كأنه يخاطب غيره، ثم التفت أخرى من الغائب إلى الخطاب تقربًا وتلطفًا؛ "لم يطل الالتفات عنه بل أسرع إلى الالتفات إليه"(٤) فقال: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢﴾ ، ولم يقل:

---

(١) مفاتيح الغيب لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠ ه، ٣١/ ٥٢.

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي، الإمام الحافظ أحمد بن على بن المثنى التميمي، ومعه: رحمات الملأ الأعلى بتخريج مسند أبي يعلى، تخريج وتعليق: سعيد بن محمد السناري، دار الحديث – القاهرة، ط١، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣م، مسند الإمام أنس بن مالك، رضي الله عنه، برقم: (٣١٢٣)، ٢٨/٥.

(٣) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣م، ١/ ٢٧٣.

(٤) البلاغة العربية، ١/ ٤٨٢.

عبست وتوليت، ثم تحول الكلام إلى الخطاب بقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾﴾؛ فالحال يقتضي في ظاهر الأمر أن يخاطب النبي –صلى الله عليه وسلم– بذلك في أول الكلام، لكن مداراة الله نبيَّه وعطفه عليه جعله يصرف الكلام عن المخاطبة وكأن المخاطب غيره، فلم يخاطب الله نبيه من أول وهلة، وإنما عرّض بفعله وكأنه صادر من غيره –صلى الله عليه وسلم– ثم خاطبه بعد ذلك مخالفًا السياق الذي بدأ به الكلام؛ تقديرًا له، ليعلي شأنه، ويرفع مكانه، وقد ذكر الدسوقي[١] أن الخطاب موافق لظاهر المقام الذى هو مقام الخطاب لكنه مخالف لظاهر الكلام[٢]، قاصدًا بذلك أن الكلام بدأ بضمير الغائب، والأصل أن ظاهر المقام الخطاب.

قال أبو حيان: "وجاء بضمير الغائب في (عبس وتولى) إجلالا له –عليه الصلاة والسلام–، ولطفًا به أن يخاطبه لما في المشافهة بتاء الخطاب ما لا يخفى"[٣].

وعندما أذن النبي –صلى الله عليه وسلم– للمخلفين من المنافقين عن غزوة تبوك باجتهاده قبل أن يمتحن صدقهم وكذبهم، قال الله:﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ

(١) هو: محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي: من علماء العربية. من أهل دسوق بمصر، درّس بالأزهر، من كتبه: حاشية على مغني اللبيب، وحاشية على السعد التفتازاني، وفي الفقه: حاشية على الشرح الكبير على مختصر خليل، وكتاب: الحدود الفقهية، توفي بالقاهرة سنة (١٢٣٠هـ) ينظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط١٥ – أيار /مايو ٢٠٠٢م، ١٧/٦.

(٢) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، لمحمد بن عرفة الدسوقي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ١/ ٧٢١.

(٣) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر– بيروت، ط: ١٤٢٠هـ، ٤٠٦/١٠.

لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾[التوبة: ٤٣] فجاءت أساليب المداراة مناسبة لهذا الموقف ولمكانة النبي –صلى الله عليه وسلم– عند ربه، ومن أساليبها:

الأسلوب الأول: الجملة الخبرية المبشرة بالعفو قبل الكناية عن الذنب؛ لأن العفو لا يكون إلا عن ذنب، فقال:﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ ﴾وسبقت الجملة الخبرية الاستفهام﴿لِمَ أَذِنتَ ﴾ لطفًا بالنبي –صلى الله عليه وسلم– وتكريمًا كما أشار إلى ذلك ابن عطية(١).

الأسلوب الثاني: الاستفهام المجازي: ﴿لِمَ أَذِنتَ ﴾ ، وقد خرج عن معناه الحقيقي فكان الغرض من الاستفهام التنبيه، والإرشاد. وعدَّه الزمخشري عتابًا(٢)، ولم يرتضِ الطِّيبي(٣) ما ذهب إليه الزمخشري في ذلك من عبارات في حق النبي –صلى الله عليه وسلم–(٤)، واستعرض الرازي أقوال القائلين

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ – ١٤٢٢ هـ، ٣/ ٣٨.

(٢) ينظر: الكشاف، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله – دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ، ٢/ ٢٧٤.

(٣) هو: الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطِّيبي: من علماء الحديث والتفسير والبيان، من أهل توريز، من عراق العجم، من كتبه: التبيان في المعاني والبيان، والخلاصة في معرفة الحديث، وشرح الكشاف سماه: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، وشرح مشكاة المصابيح في الحديث، توفي سنة ٧٤٣هـ . ينظر: الأعلام، ٢/٢٥٦.

(٤) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: إياد محمد الغوج، و د. جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م، ٤/ ٣٢٧ و ٧/ ٢٥٥.

بأنه عتاب والاستفهام للإنكار وردَّ عليهم، وانتهى إلى القول بأن الغرض مزيد تبجيل وتعظيم وليس الاستفهام للإنكار؛ لأنه يتنافى مع معنى العفو الذي سبقه[1] ويرى الباحث أن الاستفهام جاء لغرض الإرشاد بدليل أنه أتبع بقوله: ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

والأسلوب السابق يدل على تكريم الله لنبيه –صلى الله عليه وسلم–؛ لأن العفو سبق، ولأنه خاطبه بكاف الخطاب التي تدل على القرب، بينما يأتي العفو بعد التعريف بالذنب بأسلوب آخر في آية أخرى وبضمير الغائبين؛ فبعد تعريف المذنبين بذنبهم، عفا الله عنهم، وذلك في الذين تولوا يوم التقى الجمعان يوم أحد –رضي الله عنهم– فقال –تعالى– فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٥٥﴾ ﴾،[آل عمران: ١٥٥]، وهنا يتبين الفرق بين النظمين، مع أن كليهما اشتمل على التصريح بالعفو، فآية آل عمران جاءت بأساليب منها:

الأسلوب الأول: الجملة الاسمية التي صرحت بذنبهم وأكدته بأدوات التوكيد، وجاء العفو أيضًا مؤكدًا بأدوات التوكيد كذلك:﴿ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ ﴾ فكان التوازن.

الأسلوب الثاني: المجاز العقلي: أسند الفعل إلى الشيطان لكونه السبب، فكانت العلاقة السببية.

الأسلوب الثالث: التعبير بالاسم الموصول وصلته سترًا عليهم، ولم يصرح بأسمائهم، وذلك من تمام العفو وكمال الستر.

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣– ١٤٢٠ هـ، ١٦/ ٥٨.

الأسلوب الرابع: التذييل بالتعليل، فلقد عفا الله لاتصافه بالمغفرة والحلم، وتلك الصفتان مناسبتان لمقتضى الحال.

ومما سبق تبين لطف الله –سبحانه– برسله، ورحمته بعباده، بأبلغ أسلوب وأحسن نظم، فلقد كان للأسلوب البلاغي وظيفة اتصال تكشف عن سعة رحمة الله أمام زلات عباده، فنرى الالتفات والتعبير بالاسم الموصول من غير تصريح بالفاعل سترًا، وتقديم العفو على التصريح بالذنب، واستعمال المجاز العقلي بإسناد الخطأ إلى الشيطان، وغير ذلك.

المبحث الثاني: المداراة في الدعوة

الدعوة إلى الله –تعالى–، وإلى ما ينفع الناس في دنياهم وأخراهم ويؤلف بينهم يتطلب المداراة واللطف بعباد الله، وهذا ثمرة صبر طلبًا لتحقيق هدف، والمداراة من سمات الرسل –عليهم السلام– ومن أساليب المداراة ما جاء في رد نوح وهود –عليهما السلام– على قومهما، حيث قال الله في خبرهما: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأعراف: ٦٠ – ٦١]﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الأعراف: ٦٥ – ٦٧].

فقوم نوح –عليه السلام– أكدوا قولهم بمؤكدات، وجعلوه في ضلال، فجعلوا الضلال ظرفًا حلَّ به المخاطب إيغالًا في ذمه على سبيل الاستعارة، ومثل ذلك في خطاب قوم هود لهود –عليه السلام– فجاءت المداراة مستعمِلة أساليب بلاغية، منها:

الأسلوب الأول: إضافة المنادى إلى ياء المتكلم؛ فقد بدأ النبيان –عليهما السلام– حوارهما قومَهما بالانطلاق من الدائرة المشتركة، فكلاهما نادى قومه وأضافهم إلى نفسه؛ ليثبت الانتماء الدافع إلى نصحهم وصدق قوله فيهم، فكان في أسلوبه مداراة تمهد لما سيأتي من دعوة، فكلاهما: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ﴾.

الأسلوب الثاني: حذف ياء المتكلم؛﴿ يَٰقَوْمِ ﴾ وهي ظاهرة في دعاء الرب، كقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ﴾[آل عمران: ٤١] وأستشف من وراء

هذا الاستعمال أن إجابة الرب دعاءَ من دعاه أسرع وأقرب من نطق الياء فتُركت، وأن قرب القوم والتصاقهم برسولهم أسبق من نطق الياء، والله أعلم.

الأسلوب الثالث: تقديم ما حقه التأخير؛ فقال نوح -عليه السلام-:﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾، وقال هود -عليه السلام-:﴿لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ ردًّا على فرية قومهما، مع أن القومين نزَّلوا نبييهما منزلة المنكِر، فقالوا: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ﴾، ومع ذلك كل نبي ينفي عن نفسه ما قذفه به قومه، ولا يثبته لهم؛ مداراة لهم؛ لكونه يتحمل مسؤولية الدعوة إلى الله، فيتحمل ما يجده من قومه طالبًا رضاه، فاستعملا التقديم والتأخير لغرض الحصر فنفى نوح عن نفسه الضلالة، وسكت عن إثباتها لقومه، ونفى هود عن نفسه السفاهة ولم يثبتها لهم.

الأسلوب الرابع: الإيجاز النابع من اللفظ الموحي؛ فقوله: ﴿ضَلَالَةٌ﴾ ردا على قولهم: ﴿ضَلَالٍ﴾، فنفى عن نفسة أقل ضلالة وهي الضلالة الواحدة، ومقتضى نفي الواحدة هو نفي ما زاد عنها في هذا الأسلوب؛ فانتفى بذلك جنس الضلالة، وانتفى بقول هود: ﴿لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ جنس السفاهة كله، كما رأى الزمخشري؛ فرأى أن الضلالة أخص من الضلال[١]، وكذلك الرازي ذكر أن هذا أبلغ في عموم السلب[٢]، وهذا ما ذهب إليه ابن الأثير فرأى أن الضلالة دالة على المرة الواحدة من الضلال، ونفيها نفي لما فوقها من المرتين والمرار الكثيرة[٣]،

(١) الكشاف للزمخشري، ٢/ ١١٣ .

(٢) مفاتيح الغيب، ١٤/ ٢٩٦.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة- القاهرة، ٢/ ١٦٨.

وتعقب ابن المنيِّر[١] الزمخشريَّ فذكر أنه ليس بالضرورة أن يكون بهذا الأسلوب نفي للأعم، إلا أن نفي الأدنى أبلغ من نفي الأعلى[٢].

وتتجلى أساليب منتهى المداراة في دعوة ولد والده، دعوة إبراهيم –عليه السلام– أباه بنداء الحاضر، فاستعمل أساليب تنم عن شفقة ومداراة، ومنها:

الأسلوب الأول: الإطناب بتكرار ندائه، فقد كرر النداء أربع مرات؛ لغرض التأكيد، ولأن المقام مقام تودد وشفقة، فاقتضت المراجعة الإطناب؛ ليدخل في دين الله فيأمن عذابه، بخلاف نداء نوح –عليه السلام– ابنَه؛ فقد كان مرة واحدة لضيق المقام[٣]، ونداء إبراهيم –عليه السلام– أباه جاء على صور، فتارة يعقب النداء باستفهام، بقوله: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: ٤٢] لم يقل: الخشب أو الحجر[٤]، بل ذهب إلى العلة التي تقوي حجاجه، وهي أن المعبود ناقص لا يسمع ولا يبصر ولا يغني، فهذا " كناية عن التعجيز عن إبداء المسؤول عنه، فهو من التورية في معنيين يحتملهما الاستفهام"[٥] وتارة يعقب النداء بجملة خبرية ثم

(١) هو: أحمد بن محمد بن منصور: من علماء الإسكندرية وأدبائها، ولي قضاءها وخطابتها، مرّتين، له تصانيف، منها: الانتصاف من الكشاف، ولد سنة: ٦٢٠هـ وتوفي سنة :٦٨٣ه. ينظر: الأعلام، ١/ ٢٢٠.

(٢) حاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنيِّر السكندري، ينظر الحاشية: في الكشاف للزمخشري ٢/ ١١٣.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤م، ١٦/ ١١٤ـ

(٤) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور/ حسن عباس زكي – القاهرة، ط ١٤١٩ هـ ٣/ ٣٣٦.

(٥) التحرير والتنوير ١٦/ ١١٤ـ

أمر، مثل: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾﴾ [مريم:٤٣]، "ولم يسِمْ أباه بالجهل المُفرِط وإن كان في أقصاه، ولا نفسَه بالعلم الفائق وإن كان كذلك، بل أبرز نفسه في صورة رفيقٍ له أعرفَ بأحوال ما سلكاه من الطريق[١]، فلم يجرد أباه من العلم لكنه بيَّن أن العلم الذي جاءه أكمل؛ لأنه وحي من الله، ثم يعود إلى النداء متبوعًا بجملة خبرية: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾، وتارة يعقب النداء بنهي ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾﴾ [مريم: ٤٤].

الأسلوب الثاني: الاستعارة؛ ﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾ فاستعار للمعنوي محسوسًا ليدركه، فشبه نفسه بمن يهدي الضال الطريق الصحيح على سبيل الاستعارة المكنية، ويشبه التوحيد بالصراط السوي على سبيل الاستعارة التصريحية[٢].

الأسلوب الثالث: الحِجَاج؛ فيستعمل التعليل في أكثر من موطن في قوله: ﴿مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ وفي النهي عن عبادة الشيطان ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾ ورتب حجاجه، فبدأ بوصف الصنم ونقصه، وأخر ذكر الشيطان إلى آخر الحجاج كيلا ينفر من أول وهلة، فوظف الحجاج المؤدب لغرضه، وليس غرضه الإفهام فحسب بل الغرض الإقناع والتأثير.

ثم أكد قوله بالتعليل المؤكد بحرف التوكيد والجملة الخبرية، والجملة الفعلية التي وقعت خبرًا لـ (إنَّ)، واشتملت على ضمير يعود إلى الشيطان،

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٥/ ٢٦٧.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ١٦/ ١١٦ـ

فذكر الشيطان مرتين صراحة، ومرة تقديرًا، ثم ذيل التعليل بصيغة المبالغة (عصيًّا)؛ فقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤﴾، فهذا النظم معجز في بنائه لإظهار الحجاج في أبلغ قوة.

الأسلوب الرابع: المجاز المرسل؛﴿لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ والمعبودة أصنام، لكن الشيطان سبب في عبادتها فالعلاقة السببية، وهو مستقبح في النفوس فاستعمل اسمه تنفيرًا لأبيه من عبادة الأصنام.

الأسلوب الخامس: التوكيد، وتوظيف الألفاظ الموحية لمراده، فيذكر المس، وهو أقل العذاب، ثم ينكر العذاب، ويذكر اسم الرحمن التماسًا للرحمة: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾[مريم: ٤٥] نكَّر العذاب ملاطفة لأبيه(١)، والملاطفة تقتضي أن يكون أراد أقل العذاب، ولا سيما أنه يلاطف أباه ليدخله في دين الله ورحمته.

الأسلوب السادس: الإضافة اللطيفة؛﴿عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ ففي إضافة العذاب للرحمن دلالة على فظاعة الجرم الذي أغضب واسع الرحمة كما ذكر ابن عاشور(٢)، أو أنه أضاف العذاب إلى الرحمن تفاؤلًا برحمة الله لأبيه كما يرى الباحث، وهذا انتقاء لفظي مؤدب، وذكر ابن الأثير أن البيان يحتاج إلى ثلاثة: إلى اختيار الألفاظ المفردة، ثم نظمها، ثم الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه(٣).

الأسلوب السابع: الكنية؛ التي غرضها التكريم، فلم يسم أباه، بل ناداه بروح الانتماء﴿يَٰٓأَبَتِ﴾.

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر٢/ ٢٠٧.
(٢) التحرير والتنوير ١٦/ ١١٨ــ
(٣) ينظر: المثل السائر ١/ ١٦٣.

ومع هذا كله تقابلــه قســوة الأب، فيقــول: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾[مريم: ٤٦] حال أبي إبراهيم: الغلظة والجفوة، وحال إبراهيم –عليه السلام– التودد واللطافة بأبيه، لكن لــم يقابل أبوه (يا أبت)؛ بــ (يا بني)، بل ناداه باسمه[١] مع أن أباه أضاف الآلهة إلى نفسه إجلالًا لها وبيانًا لمكانتها في نفسه.

الأسلوب الثامن: الختم بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاســتمرار عند الموادعة﴿ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ﴾ فرغم عداوة والده له، وتوعده بالرجم، يثبت ويستعمل ما يدل على ثباته بجملة اسمية مليئة بروح الحلم والتسامح، قال ابن كثير[٢]: "ولهذا قال –تعــالى–: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾[التوبــة: ١١٤]". فهي جملة توديع ومتاركة، وكلمة تحية وإكرام[٣]، فالجملة الاسمية دالة علــى الثبات، وعلى حرف جر دال على العلو، وفي هذين التعبيرين أبلــغ مــداراة وألطف خطاب يزيده الوعد بالاستغفار شفقة ومودة. فتــزداد المــداراة بــأن استعمل أمام فحش أبيه وطرده حرف الاستقبال القريب ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ﴾ وفي موطن آخر أكدها باللام والنون؛ فقال: ﴿ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ [الممتحنــة: ٤] وحرف السين دالٌّ على تقريب الطلب لسلامة صدره، ولم يستعمل (ســوف) التي تفيد المستقبل البعيد، وقد استعملها يعقوب –عليه السلام– لمّــا ذاق ألــم فراق يوسف –عليه السلام– حتى ابيضت عيناه من الحزن، فقال مجيبًا أبناءه

---

(١) ينظر: الكشاف، ٣/ ٢٠ .

(٢) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط١، ١٤١٩ ه، ٤/ ١٩٨ــ

(٣) التحرير والتنوير ١١٨/١٦ــ

بطلبهم الاستغفار: ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ﴾ [يوسف: ٩٨] ، وكلاهما استعملا كلمة ﴿رَبِّيٓ ﴾ فهي اعتراف بالربوبية، جمعت الثناء والدعاء.

الأسلوب التاسع: تنكير سلام؛ ولقد جاءت﴿سَلَٰمٌ﴾ نكرة دالة على التسليم والاسمية في ٢٢ موطنًا، في سلام الله على رسله، وسلام الملائكة على أهل الجنة، وسلام الأنبياء على أقوامهم، وسلام إبراهيم على أبيه وعلى الملائكة، ولم يرد السلام في القرآن معرفًا بـ (أل) إلا في سلام عيسى -عليه السلام- على نفسه ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ ﴾[مريم: ٣٣]، وقول موسى -عليه السلام-: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾ [طه: ٤٧]، فدل هذا التنكير على تعظيم هذا السلام.

وصورة أخرى من صور التلطف والمداراة في قول إبراهيم -عليه السلام-: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الأنبياء: ٥٢ - ٥٥] فجاءت هذه الأساليب:

الأسلوب الأول: الاستدراج؛ وقد ذكر ابن الأثير أنه أول من استخرجه من كتاب الله، ووصفه بأنه من مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال، وذكر أن يتضمن نكتًا دقيقة في استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم(١)، وهذا ما فعله إبراهيم -عليه السلام- فسألهم عن ماهية هذه التماثيل، واستغرابه من عكوفهم عليها، فجرهم إلى الاعتراف: ﴿ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾ فأوقعوا أنفسهم معترفين بأنهم مقلدون قد أبطلوا عقولهم،

(١) ينظر: المثل السائر ٢/ ٢٠٥.

فلم يتأملوا ولم يتفكروا بحقيقة أمرهم؛ لذلك ضعفوا أمام أسلوبه﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾، قال ابن عاشور: "وأرادوا بتأويل كلامه بالمزح التلطف معه وتجنب نسبته إلى الباطل استجلابًا لخاطره لما رأوا من قوة حجته"(١).

الأسلوب الثاني: تجاهل العارف؛ ولم يحب السكاكي هذه التسمية فسماه: (سَوْقَ المعلوم مَساق غيرِه لنكتةٍ)(٢). فإبراهيم -عليه السلام- تجاهل وجاء بالاستفهام عن حقيقة هذه الأصنام التي سماها تماثيل مصنوعة يعكفون عليها عابدين، وهي لا تنفع ولا تضر وهو يعلم ذلك، فحملهم سؤاله على الإجابة الصحيحة﴿ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾ فبيَّن لهم ضلالهم بعد اعترافهم بالتقليد وفقدان الحجة.

الأسلوب الثالث: الجملة الخبرية التي تفيد ثبوت الحكم؛ ﴿قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾

وموقف آخر يظهر فيه لطف إبراهيم بقومه الذين فيهم أبوه؛ حيث قال في الأصنام: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٦﴾ ﴾ [إبراهيم:٣٦].

فجاء بأساليب تتسم بالمداراة تلطفًا، منها:

الأسلوب الأول: المجاز العقلي في قوله: ﴿أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا ﴾ فأسند الفعل إلى غير فاعله؛ لعلاقة السببية.

---

(١) التحرير والتنوير١٧/ ٩٥- ٩٦.

(٢) مفتاح العلوم، ص٤٢٧.

الأسلوب الثاني: التأدب اللفظي؛ فأضاف العصيان إليه﴿عَصَانِي﴾ ونزه الله؛ "لأن كل دابة ناصيتها بيده"(١)، ولو شاء لهداهم أجمعين.

الأسلوب الثالث: حسن التذييل، قال: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ وهو من التعريض بالدعاء لهم طلبًا للمغفرة والرحمة، فمقتضى الحال أن يأتي بصفة تناسب معاقبتهم على عصيانهم، لكنه –عليه السلام– عدل عن ذلك إلى صفة الرحمة، التي يرجوها لوالده، وقد جاء هذا صراحة في قوله –تعالى–: ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾﴾[الشعراء: ٨٦].

وأساليب أخرى في مداراة المدعو، كما في قوله –تعالى–: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾[سبأ: ٢٤ – ٢٥].

فمن أساليب المداراة فيها:

الأسلوب الأول: الحجاج والتعريض؛ بدأ جداله اللطيف باستفهام حجاجي، ثم أعقبه بذكر الحالين المتناقضين، ووصف الجهل بالمبين تعريضًا بمن عمّي عليه وهو مبين.

الأسلوب الثاني: تجاهل العارف؛ قال الرازي: "فأضاف الكلام الموهم للشك إلى نفسه ترفيقًا للخطاب ورفقًا بالمخاطب"(٢).

---

(١) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ، ٧/ ٢٤٤.

(٢) مفاتيح الغيب، ٤/ ٩٠.

الأسلوب الثالث: اللف والنشر المرتب؛ فبدأ بقوله:﴿وَإِنَّآ﴾، ﴿لَعَلَىٰ هُدًى﴾، وثنى ب ﴿أَوۡ إِيَّاكُمۡ﴾، وتلاها ﴿فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾، ليكون للأول ذِكْرًا الأولى حالًا، وللثاني ذكرًا الحال الثانية.

وفي قوله:﴿قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٥﴾فالظاهر أن يقول: لا تسألون عما عملنا، ولا نسأل عما تجرمون، لكنها المداراة والقول اللين، قال السبكي(١) عن حسن هذا الأسلوب: "ووجه حسنه إسماع المخاطبين الحق على وجه لا يغضبهم، فإنه ليس فيه التصريح بنسبتهم إلى الباطل، وصرفه إلى المتكلم إشارة إلى أنه لا يريد لهم إلا ما أراده لنفسه"(٢).

الأسلوب الرابع: الطباق البديعي الذي يكشف عن المعاني بجلاء؛ وذلك بين: ﴿وَإِنَّآ﴾، وبين﴿لَعَلَىٰ﴾و﴿فِي﴾و بين ﴿هُدًى﴾ و﴿ضَلَٰلٖ﴾ (٣).

الأسلوب الخامس: الاستعارة؛ فـ ﴿أَوۡ﴾ استعيرت لغرض الترفق، وأصلها التخيير أو الشك. واستعار حرف الجر ﴿لَعَلَىٰ﴾ للدلالة على العلو، وذكر ابن عاشور أنها استعارة تمثيلية مكنية تبعية، وذلك أن حرف الجر (على) فيه تمثيل المهتدي على بصيرة بمن يعتلي فرسًا يركضها نحو هدفه

(١) هو: أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي، ولد سنة:٧١٩ه، ولي قضاء الشام، سنة ٧٦٢ هـ فأقام عاما، ثم ولي قضاء العسكر، وكثرت رحلاته، له من الكتب: عروس الأفراح، شرح تلخيص المفتاح، ومات مجاورا بمكة، سنة:٧٦٣. ينظر: الأعلام، ١٧٦/١.

(٢) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ١/ ٣٣٦.

(٣) الأضداد، لأبي بكر، محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، ٢٧٩– ٢٨٠.

كيف يشاء[١]، وهي استعارة تمثيلية لكونها مركبة، ومكنية لكون المشبه به هو المحذوف، وتبعية لكونها جرت في الحرف (على).

ومن أساليب المداراة ما ورد في دعوة العبد الصالح قومَه إلى التوحيد بعد أن تملَّك الشرك عقولهم، فقال: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢﴾ [يس: ٢٢]، فجاءت المداراة بأساليب؛ منها:

الأسلوب الأول: الاستفهام الذاتي الإنكاري؛ ﴿وَمَا لِيَ﴾فغرضه الإنكار على نفسه لو فعل، والتعجب من ذلك لإقناع من قصد بقوله.

الأسلوب الثاني: التعريض بما يُعبد من دون الله وهو مخلوق لا خالق، فالعبادة لمن فطرنا وإليه نرجع.

الأسلوب الثالث: تقديم ما حقه التأخير في قوله:﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ ؛ ليفيد اختصاص الله بهذا الرجوع وحده لا شريك له، فتبطل بذلك عبادة غيره.

الأسلوب الرابع: أسلوب الحجاج باستعمال الأساليب البلاغية، والأفعال المنتقاة، فالاستفهام الإنكاري يثير الفكر ليحكم سلوكه أمام العقل السليم، فيأتي بأسباب العبادة، وهي الإيجاد فيستعمل الفعل: ﴿فَطَرَنِي﴾، ثم يذكر الغرض من الإيجاد وهو الحساب الذي تضمنه الفعل: ﴿تُرۡجَعُونَ﴾ ، فالأسلوب قائم على الإقناع بالفطرة والرجوع مما لا ينكره أحد دون أن يغضبهم.

الأسلوب الخامس: الالتفات. كما يرى بعض البلاغيين، فالظاهر أن يأتي قوله على إحدى صورتين؛ إما أن يقول: فطرني وإليه أرجع، أو فطركم وإليه ترجعون، لكن الالتفات من المتكلم إلى المخاطب أتى بالمعنيين، فحقق الالتفات الإيجاز اللفظي والغايةَ مكسوةً ثوبَ المداراة. وهذا الأسلوب عدَّه السكاكي

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٢/ ١٩٣.

وبعض شراح التلخيص التفاتًا وبعض المتأخرين[١] وأشار السكاكي إلى أنه أدعى إلى قبول النصح، فقد جعلهم كنفسه، فأتى بأسلوب لا يورثهم مزيد غضب، وترك التصريح بنسبتهم إلى الباطل، ومواجهتم بذلك[٢].

ومن البلاغيين من رأى أن الضمير في (ترجعون) لا يعود إلى الملتفَت عنه في قوله: (فطرني) فعدَّه من التجريد، وهو أنه انتقل من ضمير المتكلم إلى التجريد، فجرد من نفسه مثلها وخاطبها[٣].

ويرى الباحث أنه التفات لكونه قصد بـ (ما لي)، وبـ (أعبد)، وبـ (فطرني) المخاطبَ، أي: ما لكم وتعبدون وفطركم، لكنه أظهر خطابه نفسه مداراة لهم؛ كي يستجيبوا ولا يغضبوا ودليل ذلك قوله:﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾يس: ٢٥.

الأسلوب السادس: الاحتباك؛ حيث كشف اللفظ المذكور (فطرني) عن (فطركم)، و (ترجعون) عن (أرجع)، يثير التأمل من غير أن يستفزهم، فبدأ بسبب العبادة وهو أنه مفطور عَبَد فاطرَه، والأصنام مفطورة فحقرها بذلك تعريضًا، وأثبت رجوع كل مفطور إلى الفاطر –سبحانه– وبعد الرجوع الحسابُ.

---

(١) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي، تحقيق وتعليق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١/ ٣٤ و١/ ٤١٦، وينظر: خصائص التراكيب.. دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط٧، ٢٥١.

(٢) مفتاح العلوم، ص ٢٤٥.

(٣) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ١/ ٢٧٧.

وبين ابن الأثير النكتة من هذا الأسلوب بقوله: "وإنما صرف الكلام عن خطاب نفسه إلى خطابهم؛ لأنه أبرز الكلام لهم في معرض المناصحة، وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم"(١).

ففي هذا المبحث تبينت بعض الأساليب البلاغية التي وظفها الدعاة من المرسلين وغيرهم لاستمالة أقوامهم وإقناعهم بألطف أسلوب؛ ليكون ذلك منهجًا للدعاة إلى الله، كإضافتهم إلى أنفسهم، وكاللف والنشر المرتب، والكنية، والاستعارة والطباق، والتعليل والاستدراج اللطيف لغرض الحجاج.

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ٢/ ١٤٠.

المبحث الثالث : مداراة النبي - صلى الله عليه وسلم- الناسَ

لقد خلق الله نبيه –صلى الله عليه وسلم– بأكمل خَلْق وأسمى خُلُق، فكان رحيمًا بمن يخالط، يراعي بيته، ومجتمعه، وأحوال من يخالط، وهو القائد الأعلى، وأول من يخالط أزواجه –رضي الله عنهن–؛ ففي سورة التحريم تستفتح الآيات بشيء من ذلك، فتستفتح بنداء النبي –صلى الله عليه وسلم– مداراة له بما سيعقب النداء من استفهام غرضه الإنكار، ثم ختم الآية بوصفي المغفرة والرحمة فقال – تعالى–: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١﴾ [التحريم:١] ثم بقوله – تعالى–: ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٣ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ٤ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارًا ٥﴾[التحريم: ٣– ٥].

فالمقام مقام غضب؛ لإفشاء إحدى زوجات النبي –صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عنهن– سرًّا عظيمًا سماه الله نبأً؛ لعظمته من وجهين: لكونه سرًّا استودعها عليه، ولكون ذلك لم يجرِ في بيت الزوجية فحسب، بل في بيت النبوة.

فتجلَّت صور المداراة مع أن المقام مقام غضب، لكنه –صلى الله عليه وسلم– على خلق عظيم، ومن تلك الأساليب:

الأسلوب الأول: الإبهام والتنكير؛ ذكر لفظ النبي –صلى الله عليه وسلم– تعظيمًا، وأخفى الملوم سترًا، واستعمل ما يناسب الستر من ألفاظ: ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ﴾ ثم ﴿بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ﴾ ثم ﴿نَبَّأَتۡ بِهِۦ﴾، ثم تنكير ﴿حَدِيثٗا﴾ المناسب

للإسرار، ثم لما أظهر الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- بكل ما حدث لم يعرضه كله على من ﴿نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ فجاءت المداراة الأخرى من قِبل النبي -صلى الله عليه وسلم-: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ ، وتتضافر الألفاظ المناسبة لمقام المداراة باستعمال ضمير الغائب سترًا عليه، مثل: ﴿نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ﴾ ، ثم الانتقال إلى التثنية التي ترمز إلى أطراف القضية بأكثر من لفظة؛ فيقول: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ ، ثم يأتي الانتقال إلى خطاب كل أزواجه؛ فيقول: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾.

فمداراة بيت النبي -صلى الله عليه وسلم- هي إجلال وتقدير له، والضمائر التي استعيض بها عن الاسم صراحة من أبلغ صور الستر، فقد وصل إلى غاية التأديب بأفضل صور الستر والتهذيب، فالأحداث جرت بين زوج وبعض أزواجه في عرف البيت، لكن الله افتتح خطاب نبيِّه - صلى الله عليه وسلم- بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾[التحريم: ١]، وتكرر هذا اللفظ في السورة، فهو نبي الثقلين كافة، فتتوسع بذلك الدائرة من بيت النبوة إلى الفضاء الواسع، وقوله: ﴿بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ فيه من الستر ما فيه، فهي واحدة ، بدليل ضمير الغائب بعدها، وهذا ستر لها، فعرضه التنبيه للنأي عن مثل هذا.

قال أبو حيان: "وجاءت الكناية هنا عن التفشية والحذف للمفشى إليها بالسر، حياطة وصوناً عن التصريح بالاسم؛ إذ لا يتعلق بالتصريح بالاسم غرض"(١).

الأسلوب الثاني: الالتفات؛ ففي هذه الآيات جاءت ضمائر الغائب دالة على المعاتبة، وذلك في قوله -تعالى-:﴿بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ وهي واحدة ثم ﴿نَبَّأَتْ

(١) البحر المحيط ، ١٠/ ٢١٠.

بِهِۦ ﴾ ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ ﴾ ، ثم انتقل من ضمائر الغيبة إلى الخطاب في قوله -تعالى-: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ ؛ وذلك لاختلاف الغرض، فقد جاء مقام الخطاب بالتوبة بعد ضمائر الغيبة؛ لكونه الأنسب للتوبة عن الزلل وإدخال السرور على المخطئ بخطابه بعد تجاهله، وما ألذ هذا الخطاب على من بدر منه الخطأ!

الأسلوب الثالث: إيجاز الحذف؛ فقد استغنى القرآن عن المفعول الأول في قوله: ﴿ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ ﴾ ، فلم يقل: عرفها، بل ذكر المفعول الثاني اكتفاءً به وتخفيفًا على الملوم، فقد أدت الأفعال الأخرى الغرض؛ ولكون الخطأ هو محل الحديث مع الالتفات عن المخطئ.

وموقف آخر في شأن إحدى زوجاته التي كسرت الصحفة القادمة من الزوجة الأخرى من باب الغيرة، فقال -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه: "غَارَتْ أُمُّكُمْ"(١).

الأسلوب الأول: الإطناب بالتعليل للإيضاح وإيجاد العذر؛ فقد كان التعليل بليغًا لكونه جعله الحدث بسبب الغيرة، وهي فطرة، ولا يلام أحد بفطرة، ليقرر الحدث بذكره سببه الحق؛ للإقناع، وهذا تعليل حقيق، ليس من حسن التعليل في البديع الذي يقوم على الادعاء اللطيف.

الأسلوب الثاني: الكنية وإضافة التشريف؛ فقد كناها بـ (أم)، وأضافها إلى كاف المخاطبين، وقد يكون الخطاب للحاضرين، أو لعامة المؤمنين؛ لقوله

---

(١) صحيح البخاري، لأبي عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء، تصوير: د. محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة – بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ ، باب: الغيرة، رقم (٥٢٢٥)، ٧/ ٣٦.

-تعالى-: ﴿وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وحق الأم البرّ، ومنه الستر وغض الطرف عن كل هفوة، فحقها أوجب وأعظم.

وصورة من صور تعامله بالرفق والمداراة للمسيء، ما روته عائشة -رضي الله عنها- أنه «دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ. قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: مَهْلًا يَا عَائِشَةُ؛ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ"[(١)].

وكثرت رواية عدم العطف بالواو في رواياتٍ، منها:" أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: "قَدْ قُلْتُ: عَلَيْكُمْ"[(٢)].

ويرى كثير من الشراح أن الأصوب ترك الواو، ومنهم هشام الوَقَّشيُّ[(٣)] الذي قال:" فأُمرَ المرء أن يرد عليهم فيقال: عليكم، ولذلك كان الوجه إسقاط

---

(١) المرجع السابق، باب: الرفق في الأمر كله، رقم (٦٠٢٤)، ٨/ ١٢، وصحيح مسلم، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يرد عليهم، رقم (٢١٦٥)، ٧/ ٤.

(٢) صحيح ابن حبان، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي، تحقيق: محمد علي سونمز، خالص آي دمير، دار ابن حزم - بيروت، ط١، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م، باب: ذكر ما كان المصطفى -صلى الله عليه وسلم- يغض عمن أسمعه ما كره أو ارتكب منه حالة مكروه له، برقم (٧٢٨٦)، ٧/ ٨١٧، وصحيح مسلم، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يرد عليهم، رقم (٢١٦٥)، ٧/ ٤.

(٣) هو: هشام بن أحمد بن هشام الكناني أبو الوليد، المعروف بالوَقَّشي: كاتب، قاض، مهندس، أديب، من أهل طُلَيطُلة، ولد في وَقَّش سنة ٤٠٨هـ، وولي قضاء طلبيرة (من أعمال طليطلة)، له من الكتب: نكت الكامل للمبرد، والمنتخب من غريب كلام العرب، بكى مصاب بلنسية أيام الحصار، وتوفي بدانية سنة: ٤٨٩هـ. ينظر: الأعلام، ٨/٨٤-٨٥.

الواو؛ لأن الواو توجب الاشتراك، ويجب أن يعتقد أنها زائدة في رواية من زادها"(١).

ولعل ذلك يوافق تعليم النبي-صلى الله عليه وسلم- أصحابَه -رضي الله عنهم- بقوله: "إنَّ اليهود إذا سلَّموا عليكم، يقول أحدهم: السام عليكم. فقل: عليك"(٢).

فمقتضى الحال السلام، لكنهم حذفوا اللام مخادعة وإيهامًا بمعنًى غير مباشر؛ لما فيه من تعمية أصبحت عادة لهم.

فجاءت أساليب المداراة والرفق من النبي القائد، ومنها:

الأسلوب الأول الفصل؛ فالفصل بقوله: "عليكم" في بعض الروايات، وفي تعليم النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابَه بكيفية الرد على سلام اليهود، فيه ردٌّ دعائهم عليهم من غير تشريك بواو. فأثبتت الفصل مع أن الجملتين بينهما تناسب، ورابطة قوية، لكنْ مُنع الوصل لعدم إرادة التشريك في الحكم، وهذا ما يسمى التوسط بين الكمالين مع قيام المانع. وقد ثبتت رواية الفصل: وأن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمُ اللهُ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْكُمْ"(٣).

---

(١) التعليق على الموطأ في تفسير لغاته وغوامض إعرابه ومعانيه، لهشام بن أحمد الوقشي الأندلسي، تحقيق: د.عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، ٢/ ٣٦٧.

(٢) صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يرد عليهم، رقم (٢١٦٤)، ٤/ ١٧٠٦.

(٣) صحيح البخاري، باب: لم يكن النبي -صلى الله عليه وسلم- فاحشًا ولا متفحشًا، رقم (٦٠٣٠)، ٨/ ١٢.

أما الوصل في الروايات التي أثبتت الواو في مثل: "وعليكم"؛ فإنها ليست عاطفة، بدليل أنه جاء في إحدى روايات الحديث: الفصل، وقوله: "أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ؛ فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ"(١). ولو لم يأت ذلك لقال الباحث إن الواو للوصل، ومعناه أن الموت علينا وعليكم مكتوب، لكن هذه الروايات بينت أن الواو للاستئناف. وعليه فما ورد من أحاديث صحيحة تثبت الواو، فقد تم حملها على الاستئناف، والله يستجيب لنبيه –صلى الله عليه وسلم– فيهم ولا يستجيب لهم في نبيه –صلى الله عليه وسلم–.

الأسلوب الثاني: الإطناب من عائشة بقولها الذي أنكره النبي –صلى الله عليه وسلم– لطفًا؛ لأنه خلا من الرفق، لكونها زادت لفظتي (اللعنة والغضب) على قولهم.

الأسلوب الثالث: إيجاز الحذف في "وعليكم"؛ فحذف المسند إليه، وهو (السام)، اكتفاءً باللفظة التي جاءت على لسان اليهود، فرد النبي –صلى الله عليه وسلم– بتقدير ما قالوه معنًى، وتنزه عن المخادعة في الألفاظ، فسكت عن لفظة المخادعة، واقتضاها التقدير.

وفي حديث عروة عن عائشة –رضي الله عنها– أخبرته: "أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– رَجُلٌ، فَقَالَ: ائْذَنُوا لَهُ فَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ أَوْ بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ، فَلَمَّا دَخَلَ أَلَانَ لَهُ الْكَلَامَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ الله، قُلْتَ مَا قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ فِي الْقَوْلِ، فَقَالَ: أَيْ عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ تَرَكَهُ أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ".

---

(١) المرجع السابق، باب: باب قول النبي –صلى الله عليه وسلم– يستجاب لنا في اليهود ولا يستجاب لهم فينا، رقم (٦٤٠١)، ٨/ ٨٥، وصحيح مسلم، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يُردُّ عليهم، رقم (٢١٦٥)، ٧/ ٤.

فالنبي القائد –صلى الله عليه وسلم– نظر إلى السلوك النفسي لدى الرجل، فداراه اتقاء فحشه عند مقابلته، فجاء من أساليب البلاغة ما يأتي:

الأسلوب الأول: الإيضاح والتصريح قبل المواجهة بقوله: "بئس ابن العشيرة أو بئس أخو العشيرة"، وذلك للحاجة؛ ليعرفه الناس فيحذروه(١).

الأسلوب الثاني: الكناية، بقولها: "ألان له الكلام"؛ كنايه عن اختيار الكلام الذي يرغب فيه، وليس فيه إغضاب، والبلاغة في ذلك هي اتقاء فحش المخاطب، والرغبة في تأليف قلبه، ولأنه في بيته.

وكذلك تأتي المداراة من عائشة –رضي الله عنها– في قولها: "قلتَ ما قلتَ"؛ فهذه العبارة كناية عما قال النبي–صلى الله عليه وسلم–، وفيها أدب من عائشة –رضي الله عنها–.

الأسلوب الثالث: الإطناب لغرض التعليل؛ بأن شر الناس من تُرك لفحشه، وهذا يُذهب تعجب عائشة رضي الله عنها.

ويداري – صلى الله عليه وسلم– أقوامًا، مستعملًا أسلوب التعريض والتعميم، في مثل قوله: "ما بال أقوام"؛ فقد ورد هذا التركيب في مواقف عديدة، لا يسمي النبي – صلى الله عليه وسلم– المعنِيّين، بل يستعمل التعريض الذي لا يجرح مشاعر، بل يبني قيمًا، ويحقق هدفًا، ويجعل المجتمع مجتمعًا متماسكًا، فيقف على التحذير من الفعل ولا يمس الفاعل بتشهير، ومن تلك المواقف قوله –صلى الله عليه وسلم–: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللهِ إِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِاللهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً"(٢)، وكقوله: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ

(١) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢، ١٦/ ١٤٤.

(٢) صحيح البخاري، باب ما يُكره من التعمق والتنازع في العلم، رقم (٧٣٠١)، ٩/ ٩٧.

قَالُوا كَذَا وَكَذَا"[١]، وكقوله: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْغَبُونَ عَمَّا رُخِّصَ لِي فِيهِ"[٢]، وغير ذلك من أساليب التعريض والتعميم التي لم تصرح بالفاعل أو الفاعلين، لكنها تصرح بالفعل؛ حيث إنه السلوك المراد التحذير منه، فبلغ الهدف وستر الفاعل.

ونلاحظ فيما سبق الأساليب البلاغية التي استعملها -صلى الله عليه وسلم- من كناية، وإبهام وتنكير والتفات وإيجاز حذف وإطناب وتعليل، وتعريض لأغراض مداراة تناسب سياقها الذي استُعملت به.

(١) صحيح مسلم، كتاب النكاح، برقم: (١٤٠١)، ٤/ ١٢٩.

(٢) المرجع السابق، باب علمه -صلى الله عليه وسلم- بالله -تعالى- وشدة خشيته، برقم (٢٣٥٦)، ٤/ ٩٠.

المبحث الرابع: الأساليب البلاغية في المداراة بين المحكوم والحاكم والوجيه

الحاكم والقائد وذو المكانة الاجتماعية تراعي البلاغة مقاماتهم بما يناسبها من أساليب بلاغية، وقد ذكر ابن رشيق صورة من مداراة الملوك عما يكدر أذهانهم فتمجُّه آذانهم، فقال: "ألا ترى أن بعض الملوك قال لأحد الشعراء وقد أورد بيتاً ذكر فيه: "لو خلد أحدٌ بكرم لكنت مخلداً بكرمك"، وقال كلامًا نحو هذا، فقال الملك: إن الموت حق، وإن لنا منه نصيبًا، غير أن الملوك تكره ذكر ما ينكد عيشها، وينغص لذتها، فلا تأتنا بشيء مما نكره ذكره"(١).

ومما جاء في صحيفة ابن المعتمر(٢) في وصف البلاغة: "لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة"، وأيضا فيها: "ومدار الأمر على أفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم"(٣).

ومن صور المداراة المستعملة مع ذوي المكانة وغيرهم بكثرة؛ التأدب عند الطلب أو الأمر، فينشؤون جملة اعتراضية تفيد الاحتراس، ومن ذلك ما جاء عند صفي الدين الحلِّي(٤) في (الكافية البديعية في المدائح النبوية)، والتي

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ١/ ٢٢٣.

(٢) هو: بِشْر بن المُعْتَمِر الهلالي البغدادي، أبو سهل: فقيه معتزلي مناظر، من أهل الكوفة، له مصنفات في الاعتزال، توفي ببغداد سنة: ٢١٠ه. ينظر: الأعلام، ٢/٥٥.

(٣) البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ، ١/ ٩٥.

(٤) هو عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم السنبسي الطائي، شاعر عصره، ولد سنة: ٦٧٧هـ، ونشأ في الحلة (بين الكوفة وبغداد)، واشتغل بالتجارة فكثر ترحاله بين الشام ومصر وغيرها، وتقرب من ملوك الدولة الأرتقية، ومدحهم، وأجزلوا له عطاياهم، ومدح السلطان الملك الناصر، له ديوان شعر ومدائح، وله: العاطل الحالي، ورسالة في الزجل والموالي، ومعجم للأغلاط اللغوية، توفي ببغداد سنة: ٧٥٠هـ. ينظر: الأعلام، ٤/١٧-١٨.

ضمنها أبواب البديع، ومنه الاحتراس الذي جاء به تأدبًا، فقال مخاطبًا النبي –صلى الله عليه وسلم–[١]:

فَوَفِّني - غَيرَ مَأمورٍ- وُعُودَكَ لِي فَلَيْسَ رؤْيَاكَ أضْغَاثًا مِنَ الحُلُمِ

فالأسلوب المستعمل هنا هو: الاحتراس؛ حيث جاءت جملة "غير مأمور" جملة اعتراضية غرضها الاحتراس عن الأمر؛ لسمو مقام النبي –صلى الله عليه وسلم–، فناسبت الجملة فعل الأمر "فوفني"، وهو أحد أنواع الإطناب جاء لما ذُكر من فائدة.

وورد شبيه ذلك في سؤال عروة بن الزبيرِ ابنَ عمر –رضي الله عنهما– وفيه: «... ثمَّ قَالَ لَهُ: كَمِ اعْتَمَرَ رَسُولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم–؟ قَالَ أَرْبَعًا: إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ. فَكَرِهْنَا أَنْ نَرُدَّ عَلَيْهِ، قَالَ: وَسَمِعْنَا اسْتِنَانَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحُجْرَةِ، فَقَالَ عُرْوَةُ: يَا أُمَّاهُ، يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَا تَسْمَعِينَ مَا يَقُولُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَتْ: مَا يَقُولُ؟ قَالَ: يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– اعْتَمَرَ أَرْبَعَ عُمَرَاتٍ، إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ. قَالَتْ: يَرْحَمُ اللهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا اعْتَمَرَ عُمْرَةً إِلَّا وَهُوَ شَاهِدُهُ، وَمَا اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ قَطُّ»[٢].

فمن صور المداراة في هذا الحديث ما يأتي:

الأسلوب الأول: الجملة الخبرية الفعلية التي حملت معنى الإنشاء؛ في "يرحم الله أبا عبد الرحمن"، فقد دعت له، ثم بينت ما علمت.

---

(١) ديوان صفي الدين الحلّي، دار صادر بيروت، د.ط، د.ت، ص٧٠١.

(٢) صحيح البخاري، باب: كم اعتمر النبي –صلى الله عليه وسلم– عمرة؟ رقم (١٧٧٥)، ٣/ ٢، وصحيح مسلم، باب بيان عدد عُمَرِ النبي –صلى الله عليه وسلم – وزمانهن، رقم (١٢٥٥)، ٢/ ٩١٧.

الأسلوب الثاني: الكنية؛ فلم تصرح بالاسم، ولكن اكتفت بالكنية تقديرًا وتبجيلًا.

الأسلوب الثالث: الإطناب؛ الذي سبق التبيين بجملة خبرية ذكرت فيها فضل ابن عمر لملازمته للنبي –صلى الله عليه وسلم– فما اعتمر عمرة إلا وهو شاهد.

فجعلت الدعاء، والكنية، والثناء تمهيدًا لبيان ما التبس على ابن عمر – رضي الله عنهم– أجمعين، فبينت الحق بمداراة ظاهرة، ورفق بيِّن.

وموقف آخر للصحابي الجليل عائذ بن عمرو، مع عبيد الله بن زياد – أحد ولاة يزيد بن معاوية–، فقد حدّث الْحَسَنُ "أَنَّ عَائِذَ بْنَ عَمْرٍو، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ –صلى الله عليه وسلم–: دَخَلَ عَلَى عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ –صلى الله عليه وسلم؛ يَقُولُ: إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ. فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ، فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ نُخَالَةِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ –صلى الله عليه وسلم– فَقَالَ: وَهَلْ كَانَتْ لَهُمْ نُخَالَةٌ، إِنَّمَا كَانَتِ النُّخَالَةُ بَعْدَهُمْ وَفِي غَيْرِهِمْ"(١).

فالمقام مقام ناصح مشفق رأى ما يسوء، فقدم ذلك بأساليب؛ منها:

الأسلوب الأول: الإضافة إلى الذات؛ فقد بدأ عائذ خطابه بإضافة ظاهرها التودد في قوله: "أيْ بني"، فقرَّبه مرتين، بأداة نداء القريب، وبإضافته لنفسه تلطفًا وتوددًا وتمهيدًا؛ لما سيأتي من نصح، لكن عبيد الله قائد لم يرضَ ذلك، فوصف عبيدُ الله عائذًا –رضي الله عنه– بأنه من نخالة الصحابة، فاستعار النخالة لهم الدالة على القشور الذي انعدمت قيمته، وقد أتاه ناصحًا.

---

(١) صحيح مسلم، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، رقم (١٨٣٠)، ٦/ ٩– ١٠.

الأسلوب الثاني: الاستفهام؛ في قوله: وهل كانت لهم نخالة؟ وغرضه هذا الاستفهام التعجبي من هذا القول وإنكاره، فهو استفهام إنكاري تعجبي.

الأسلوب الثالث: أسلوب القصر، الذي يتجلى في قوله: "إنما النخالة بعدهم وفي غيرهم"، فقد قصر النخالة على مَن بعدَ الصحابة -رضي الله عنهم-، وأخرج صحابة رسول -صلى الله عليه وسلم- الله -وهو أحدهم- ولم يُخرج المخاطب.

ومن صور المداراة ما عبَّرت به أخت موسى -عليه السلام- أمام طغيان فرعون؛ حيث قال الله في أمره: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [القصص: ١٢]؛ فموسى الذي أُلقيَ في اليمِّ خوفًا من فرعون، وقع في يد فرعون الطاغية، وقد وقع بصر أخته عليه، فقدمت عرضًا مُلئ رفقًا ومداراة، طمعًا في رجوع أخيها إلى بيت أمه وأمها، فنوَّعت الأساليب التي منها:

الأسلوب الأول: الاستفهام؛ ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ فجاء الاستفهام لغرض العرض؛ تلطفًا ومداراة؛ ليقبلوا هذا العرض من دون إظهار شفقة.

الأسلوب الثاني: التنكير؛ فنكرت بيتًا لتبعد شبهة المعرفة به، وقالت: "أهل بيت" ولم تقل: مرضعة، إبعادًا لشبهه، وخوفًا على أمها وأخيها(١).

الأسلوب الثالث: الجملة الفعلية؛ ﴿يَكْفُلُونَهُ﴾ الدالة على الحدث المتجدد في رعايته، والقيام في جميع شؤونه وحاجاته المتجددة.

الأسلوب الرابع: الجملة الاسمية؛ ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ الدالة على الثبات ليرغبوا العرض، فهم ناصحون ثابتون لا تتغير صفتهم.

---

(١) ينظر: البلاغة العربية ١/ ٤٠٢.

الأسلوب الخامس: تقديم ما حقه التأخير؛ ﴿لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ ، والذي يفيد إظهار عناية خاصة بطفل الملك، أو بالملك نفسه، إبعادًا لشبهة معرفة الطفل كما ذكر جملة من المفسرين(١)، فأفاد تقديم ما حقه التأخير: التخصيص. قال ابن عاشور: "والعدول عن الجملة الفعلية إلى الاسمية في قوله: (وهم له ناصحون)؛ لقصد تأكيد أن النصح من سجاياهم ومما ثبت لهم، فلذلك لم يقل: وينصحون له"(٢).

ومن المداراة قول القَبَعْثَرِي(٣) للحجَّاج -وقد قال له متوعِّدًا: لأحملنَّك على الأدهم! -فقال: مثل الأمير يُحمَل على الأدهم والأشهب!

فقد أخرجتِ البلاغةُ القبعثري من العقاب بما استعمله من أسلوب لطف ومداراة بليغ، فأخرج وعيد الحجَّاج بغير ما يترقَّبه الحجاج على سبيل الأسلوب الحكيم كما ذكر السكاكي(٤)، وأسلوب المغالطة كما عند الجرجاني(٥)، فالحجاج أراد أن يقيده بالقيد؛ لأنه يسمى الأدهم لسواده، لكن القبعثري تلقى الخطاب بغير مراد الحجاج، فبالأسلوب الحكيم حوَّل المعنى لصالحه بألطف وجه، ممتدحًا الأمير بأن الأجدر بمن مثله في السلطنة أن

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ٢٤/ ٥٨٢، والبحر المحيط ٧/ ٣٣٢.

(٢) التحرير والتنوير ٢٠/ ٨٤.

(٣) لم أجد له ترجمة شافية، لكن اسمه: غضبان بن القَبَعْثَرِي الشيباني البصري، من علماء العربية، جالس الحجاج بن يوسف وله معه أخبار، ثم خرج عليه فحبسه. ينظر: تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، لأبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، دراسة وتحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ٤٨/٦٢-٦٧.

(٤) ينظر: مفتاح العلوم ص ٣٢٧.

(٥) ينظر: دلائل الإعجاز ص ١٣٨.

يجود فيحمل على الأدهم والأشهب من الخيل، فلما أبان الحجاج عن مــراده قائلًا: إنه حديد، قال القبعثري: لَأَنْ يكون حديدًا خيرٌ من أن يكون بليدًا، وقــد يكون هذا الأسلوب قريبًا من تجاهل العارف، وذكر الدسوقي أنه سحره فصفح عنه وتجاوز عن جريمته(١).

فظهر من ذلك عدة أساليب للمداراة؛ منها: الاحتراس، والإبهام والتنكير واستعمال ضمير الغائب والاسم الموصول لغرض الستر، وإيجــاز الحــذف، والسكوت، والإطناب بالتعليل للإيضاح وإيجاد العذر.

(١) ينظر: عروس الأفراح ١/ ٢٨٣-٢٨٤، وحاشية الدسوقي على مختصر المعاني ١/ ٧٣٩-٧٤٠.

المبحث الخامس: الأساليب البلاغية في المداراة بين الأقارب والمخالطين

المجتمع يقوِّي صلاته تماسك أفراده، والمداراة قوة في العرى، وكل من أكثر المخالطة رأى الزلل، فعليه أن يتسم بالحكمة، وأول نموذج لذلك النموذج الرائد الذي سطره يوسف –عليه السلام– مع إخوته، فقال الله في خبره:﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ﴾ [يوسف: ١٠٠]، فنبع من هذا الحوار أساليب بلاغية في مداراة الإخوة، منها:

الأسلوب الأول: بلاغة السكوت؛ فقد ذكر السجن، وسكت عن ذكر البئر مداراة لإخوته، وقد ذكر الرازي علة لترك ذكر البئر؛ وذلك لأنه﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ [يوسف: ٩٢]، والذكر تثريب، ولأنه بعد البئر صار عبدًا، وبعد السجن صار ملكًا(١)، وينافي المداراة لأن اجتماع الأسرة بعد طول فراق أنجب فرحة عارمة، ولو ذكر الجب ونسب الأفعال إلى إخوته لأفسد صفو هذه الفرحة، فناسب الترك المقام وتلك من البلاغة. وقد سئل ابن المقفع عن البلاغة قال: البلاغة اسم جامع لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة. فمنها ما يكون في السكوت ..." (٢).

الأسلوب الثاني: المجاز العقلي؛ حيث أسند فعل إخوته إلى الشيطان لعلاقة السببية، فجعل النزغ هو السبب، وأسند فعل النزغ إلى الشيطان، وعدَّ

(١) ينظر: تفسير الرازي ٥١٢/١٨.
(٢) البيان والتبيين، ١/ ١١٤.

الرازي ذلك مجازًا[١]، قال القرطبي: "أحال ذنبهم على الشيطان تكرمًا منه"[٢].

الأسلوب الثاني: الإضافة لغرض التشريف والانتماء؛ ﴿إِخْوَتِ﴾ ، فذكر لفظة الأخوة وما تحمله من معاني المحبة والألفة والتكاتف الفطري، وأضاف هؤلاء الإخوة إليه تشريفًا وتكريمًا.

ومثل ذلك قوله -تعالى-: ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾[يوسف: ٧٧]؛ فإخوة يوسف قذفوا يوسف -عليه السلام- على مرأًى ومسمع منه وجهل منهم، بعد أمد من الفراق والأحداث الجسام، مما يوحي ببقاء أثر الكيد، فاستعمل لهذا الموقف المغضب أساليب مداراة؛ منها:

الأسلوب الأول: بلاغة السكوت؛ وكان ذلك في إخفاء الكلمة في نفسه، وقد بيَّنها لنا القرآن، وهي:﴿قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾[٣]. فهذا الصمت بليغ، لأن كلمة إخوته تنبئ عن حنَقهم على يوسف، وتستوجب رد الفرية، فكان الصمت من يوسف الذي أنشأ لدى المنتظر تفسيرات، فالصمت في مثل هذا الموقف يحمل دلالات، ويكتنز معاني، فجاء القرآن بتفسير ما أسرَّه بعد زمن، هذا الإسرار جعل النص ينفتح على دلالات أخرى،

(١) ينظر: تفسير الرازي ١٨/ ٥١٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ٩/ ٢٦٧.

(٣) ينظر: الكشاف ٢/ ٤٩٣.

تتضح من اختلاف المفسرين في تفسير هذه الكلمة(١)، لكن كثيرًا منهم على أنها القول الوارد في الآية.

ويكشف الجرجاني عن قيمة الصمت البلاغية عندما تحدث عن نوع من أنواعه –وهو الحذف–، فيقول: هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكون بيانًا إذا لم تُبِنْ(٢).

وقال أبو هلال العسكري: "فحذف فضول الكلام هو أن يسقط من الكلام ما يكون الكلام مع إسقاطه تامًّا غير منقوص، ولا يكون فى زيادته فائدة"(٣).

ولقد دارى يوسف –عليه السلام– السجينَ الذي سيُصلب، فقال: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴾[يوسف: ٤١].

هذه رؤيا وتفسيرها فُتيا، وهي من العلم الذي لا يجوز كتمه، لكن يوسف –عليه السلام– فسر ولم يصرح لمَن سيُصلب، مداراةً لخاطره، وحفظًا لحاضره، لكنه أخبر الذي سينجو فيما بعد بقوله –تعالى–: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف: ٤٢]، فاستعمل يوسف في فُتياه

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ١٨/ ٤٩٠– ٤٩١.

(٢) دلائل الإعجاز، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، تحقيق: أبي فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، ص١٤٦.

(٣) الصناعتين، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – بيروت، ١٤١٩ هـ ص٣٢.

أسلوب الإبهام[١] فقال: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾ ﴿وَأَمَّا ٱلْأَخَرُ﴾ فلم يصرح كي يحفظ لهما مقامهما عنده، وحسن عشرته لهما في السجن، قال الآلوسي: "وإنما لم يعيِّنه -عليه السلام- ثقة بدلالة التعبير مع ما فيه من رعاية حسن الصحبة"[٢].

وقد يحدث الغضب لكن الغاضب يتعامل مع مُغضِبه بما لا يضره مداراةً، مع إظهار أقل صور الغضب؛ كهجران الاسم الذي صرحت به عائشة -رضي الله عنها-، فعنها قالت: "قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى. قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكِ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ غَضْبَى قُلْتِ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ. قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلْ، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ"[٣].

فالمداراة فيما يلي:

الأسلوب الأول: الإضافة الحقيقية في (رب إبراهيم)؛ فإبراهيم -عليه السلام- أبو نبينا -صلى الله عليه وسلم- وأبو الأنبياء ذُكر اسمه مع اسم نبينا

---

(١) الإبهام: "وهو أن يقول المتكلم كلامًا يحتمل معنيين متضادين، لا يتميز أحدهما على الآخر، ولا يأتي في كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد ذلك، بل يقصد إبهام الأمر فيهما قصدًا". تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لعبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري ، تحقيق: الدكتور/ حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ط، ص ٥٩٦.

(٢) روح المعاني ٦/ ٤٣٦.

(٣) صحيح البخاري، باب غيرة النساء ووجدهن، رقم: (٥٢٢٨)، ٧/ ٣٦، وينظر: صحيح مسلم، باب: في فضل عائشة رضي الله عنها، رقم (٢٤٣٩) ، ٧/ ١٣٥.

-صلى الله عليهم وسلم- في صلاتنا، وتشريفه تشريف لنبينا، وفي الإضافة إليه دلالة على أرقى صور الغضب النزيه؛ لأنها حلفت بربها، وأضافته إضافة تشريف إلى إبراهيم -عليه السلام-.

الأسلوب الثاني: الإطناب لغرض التفسير عن طريق الجملة الاسمية المقصورة؛ "مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ"، وأكدت قولها بالقسم، وما أنكرت، مع أن النبي -صلى الله عليه وسلم- نزلها منزلة المنكِر؛ فأكد قوله بمؤكِّدين: إني لأعلم، وهذا دالٌّ على أنها كانت تخفي غضبها، وليس هناك قرينة سوى إضافة الرب إلى إبراهيم، فجاء جوابها بالجملة الخبرية المؤكَّدة مفسرة بأن محبتها إياه تملأ قلبها.

الأسلوب الثالث: أسلوب القصر لغرض الحصر؛ "مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ"، فاستعملت الاستثناء، لتقصر الهجران على الاسم لا المسمى، فتعزل اللفظ عن شخص النبي -صلى الله عليه وسلم-، وفيه تأكيد على سمو مكانة النبي -صلى الله عليه وسلم-، فهي تهجر لفظ اسمه عند الغضب وتستبدل به اسم أبيه إبراهيم -عليه السلام-، فتبدي غضبها الفطري بسبب الغيرة بألطف صوره مداراة له -صلى الله عليه وسلم-، فنالت فضلًا؛ ولذلك ترجم الإمام مسلم لهذا الحديث بـ (باب فضل عائشة رضي الله عنها).

ومن أساليب المداراة أسلوب الحكيم، ومن شواهد السكاكي على أسلوب الحكيم -ولم أجد قائله- قول القائل(١):

أَتَتْ تَشْتَكِي عِنْدِي مُزَاوَلَةَ القِرَى وقَدْ رأَتْ الضِّيفانَ ينحَونَ مَنزِلِي
فَقُلتُ - كَأَنِّي مَا سمِعتُ كَلامَهَا - هُمُ الضَّيفُ جِدِّي في قِراهُمْ وعَجِّلِي

(١) مفتاح العلوم، ص٣٢٧.

فزوجتُه رأت الضيوف فجاءت تشتكي كثرة الواردين والصادرين، فنزَّلها منزلة من يفرح بالضيوف كأنه لم يفهم كلامها، فقال يبشرها بآخرين: "هم الضيف جدِّي في قِراهم وعجلي"، وهذا هو أسلوب الحكيم، وفيه من الملاطفة والمداراة ما يحفظ مكانة زوجته لديه، فلم يؤذها بتألمها من كثرة الضيوف وإكرامهم، بل بنباهته حملها على الخُلق الأسمى، فحفظ بأسلوبه ما بينهما من ودٍّ.

ويقول السمؤال بن عادياء للجارية التي عيَّرته بقلَّة عدد قبيلته(١):

تُعَيِّرُنَا أنَّا قليلٌ عَدِيدُنا فقُلتُ لها إنَّ الكرامَ قليلُ

فلم يرد عليها بجفوة ولم يصرح لها بمنقصة في قبيلتها، لكنه جمع ثلاثة أساليب بلاغية:

الأسلوب الأول: أسلوب الحكيم المؤكَّد، فقال: إن الكرام قليل، فحمل كلامها على غير مرادها، فجعل هؤلاء القلة كلهم كرامًا، وهذا "اعترافٌ بقلَّة العدد لا بقلة القدر والغنى"(٢) .

الأسلوب الثاني: حسن التعليل في "إن الكرام قليل"؛ فعلَّل تعليلًا لطيفًا، إذا لم يكن قوله حقيقة بل لطيفة خيالية ابتكرها قاصدًا بذلك إقناعها، فقلة العدد لأنهم كلهم كرام.

الأسلوب الثالث: التعريض؛ فأثبت أن قومه كلهم كرام وإن قلُّوا، ويحتمل التعريض بكثرة عدد قومهم وعدم صفائهم، وحينها فليس كلهم كريمًا.

فنلحظ توظيف المداراة عن طريق المجاز العقلي، والسكوت، وأسلوب الحكيم، وحسن التعليل، والقصر، وغيرها.

---

(١) ديوان السمؤال، صنعة: أبي عبد الله نفطويه، تحقيق: د. واضح الصمد، دار الجيل، بيروت ، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ص٦٧.

(٢) شرح ديوان الحماسة، لأبي على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، تحقيق: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ص ٨٤.

الخاتمة والتوصيات:

تناولت الدراسة بلاغة الانتقال من مقام إلى مقام، وجعلت المداراة وأساليبها البلاغية أنموذجًا، فجمعت ما تيسر من شواهد في القرآن الكريم والسنة المطهرة والأدب العربي تتضح فيها الأساليب البلاغية التي يمكن أن يستعمل منها ما يناسب الحال في حواراتنا اليومية، وتناولت الدراسة شواهد في مقامات دعوية ونفسية واجتماعية وقيادية، وخلصت إلى ما يلي:

١- أن المداراة أسلوب بليغ يحقق الذكاء الاجتماعي الذي نهجه العظماء لمختلف أغراضهم.

٢- أن الانتقال من مقام الغضب إلى مقام المداراة هو انتقال من المألوف إلى غير المألوف، فوافق مقتضى الحال وإن خالف مقتضى الظاهر.

٣- أن من أساليب المداراة البلاغية -التي غرضها الستر-: التعبير بـ (الالتفات، والتعريض، والإبهام، والتنكير، وضمير الغائب، والاسم الموصول، وإيجاز الحذف، والسكوت).

٤- أن من أساليب المداراة التي لاطفت المخاطب: الالتفات، والمجاز العقلي، والإضافة إلى ياء المتكلم، وانتقاء الألفاظ الموحية، واللف والنشر المرتَّب، وأسلوب الحكيم، والاحتراس، والإطناب للإيضاح، والجمل الإنشائية للدعاء، والاستفهام المجازي، وتقديم ما حقه التأخير، واستعارة المحسوس للمعنوي، وغير ذلك مما ورد.

ويوصي الباحث بدراسة مقامات مشابهة، فيها انتقال من مقام إلى مقام، سواء أكان انتقالًا حسنًا أم مستقبحًا، سائلين الله العون والتسديد، ومن الخير المزيد.

المراجـــــع:

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ــ القاهرة.
- ابن المنيِّر، حاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) في حاشية الكشاف – دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.
- ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد، صحيح ابن حبان، تحقيق: محمد علي سونمز، خالص آي دمير، دار ابن حزم – بيروت، ط١، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤م.
- ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور/ حسن عباس زكي – القاهرة، ط. ١٤١٩ هـ.
- ابن عربشاه، عصام الدين إبراهيم بن محمد، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق وتعليق: الدكتور/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- ابن عساكر، لأبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله، تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، دراسة وتحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ – ١٤٢٢ هـ.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ.
- أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- أبو موسى، محمد محمد، خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ط. مكتبة وهبة.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.
- الأنباري، أبو بكر، محمد بن القاسم، الأضداد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط: ١٤٢٠ هـ.
- بهنسي، عبد الموجود متولي، رؤية في العدول عن النمطية في التعبير الأدبي، د.م، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.
- التميمي، الإمام الحافظ أحمد بن على بن المثنى ، مسند أبي يعلى الموصلي، ومعه: رحمات الملأ الأعلى بتخريج مسند أبي يعلى، تخريج وتعليق: سعيد بن محمد السناري، دار الحديث – القاهرة، ط١، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، دلائل الإعجاز، تحقيق: أبي فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
- الحصري، أبو أسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، زهر الآداب وثمر الألباب، دار الجيل، بيروت.
- الحلي، ديوان صفي الدين الحِلِّي، دار صادر بيروت، د.ط، د.ت.
- الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: أ.د/ محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، ط٣.
- الدسوقي، لمحمد بن عرفة، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت.
- الدمشقي، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.
- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، – ١٤٢٠ ه.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس،الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥ – أيار /مايو ٢٠٠٢م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف – دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.
- السبكي، أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: د/ عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣م

- السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي أبو يعقوب، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
- السمؤال، ديوان السمؤال، صنعة: أبي عبد الله نفطويه، تحقيق: د. واضح الصمد، دار الجيل، بيروت ، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.
- الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف، تحقيق: إياد محمد الغوج، و د. جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م.
- العدواني، ابن أبي الإصبع عبد العظيم بن الواحد بن ظافر، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: الدكتور/ حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، د. ط.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – بيروت، ١٤١٩ هـ.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م.

- القيرواني، أبو على الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- الكاتب، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق: د. حفني محمد شرف، مكتبة الشباب (القاهرة) - مطبعة الرسالة، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الكامل في اللغة والأدب، دار الفكر العربي - القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن، شرح ديوان الحماسة، تحقيق: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- القاهرة، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
- الوَقَّشي، هشام بن أحمد الأندلسي، التعليق على الموطأ في تفسير لغاته وغوامض إعرابه ومعانيه، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٢٠٤٣
٢-	Abstract	٢٠٤٤
٣-	المقدِّمة	٢٠٤٥
٤-	تمهيد:	٢٠٥١
٥-	المبحث الأول: مداراة اللّه عبادَه	٢٠٥٢
٦-	المبحث الثاني: المداراة في الدعوة	٢٠٥٧
٧-	المبحث الثالث: مداراة النبي- صلى اللّه عليه وسلم- الناسَ	٢٠٧٠
٨-	المبحث الرابع: الأساليب البلاغية في المداراة بين المحكوم والحاكم والوجيه	٢٠٧٨
٩-	المبحث الخامس: الأساليب البلاغية في المداراة بين الأقارب والمخالطين	٢٠٨٤
١٠-	الخاتمة والتوصيات:	٢٠٩٠
١١-	المراجع:	٢٠٩١
١٢-	فهرس الموضوعات	٢٠٩٦